اللغة العربية أصل اللغات السامية
وهي اللغة (الأم)
د. فوزية علي عواد القضاة(*)

المتخص
إن البحث في نظرية نشوء اللغات السامية وأصول هذه اللغات مننظريات
التي اقتص فيها علماء فقه اللغة إلى فرق وجماعات، تعددت أراؤها، واختلفت
اتجاهاتها، ولقدنا رائنا من خلال البحث أن الصلة الوثيقة بين جميع اللغات السامية
جعلت هذه اللغات جميعا مشتقة من لغة واحدة (اللغة الأم)، نشأت في مكان واحد،
ثم انتشرت شعوب الأسرة السامية في بقاع شتى، تاركة مهداً الأصلي، فظهر
تأثير البيئات الجديدة في ألسن السكان، وظهرت لغات أو لهجات جديدة، لكنها
ظلت قريبة الشبه باللغة (الأم)، وهذه اللغة (الأم) كما أثبتت المصادر العلمية
التاريخية والجغرافية هي اللغة العربية؛ لأن هذه المصادر أثبتت أن الموطن
الأصلي للشعوب السامية المهاجرة هي الجزيرة العربية.

* جامعة البلقاء التطبيقية - كلية أربد الجامعية.
حوليات آداب عين شمس - المجلد 38 (يوليو - سبتمبر 2010)
Abstract

Research in the theory of the emergence of Semitic languages and their origins is considered one of the theories in which language linguists were divided into teams and groups of different views and trends. However, through the research, we have seen that the close link between all Semitic languages has led to the derivation of such languages from one language (mother-tongue ") that originated in one place. Then the people of Semitic families (Semitic) have spread in various parts of the world leaving their original place leading to the emergence of the impact of new environments in the tongues of migrants; new languages and dialects emerged, but they were still close to the (mother) language. This mother tongue, as proven in the scientific, historical and geographical sources, is the Arabic language, because these sources proved that the original home of migrant Semitic people is the Arabian Peninsula.
مقدمة:

هذا البحث هو محاولة لإثبات أن اللغة العربية هي أصل اللغات السامية، وقد اعتمدت فيه على الدلائل العلمية والتاريخية وخصوصاً اللغات السامية، وذكرت عدداً من الألفاظ التي تتشابه فيها اللغات السامية كالعبرية والأرامية واله集成电路ية واللغات الآشورية بالباليه مع العربية، فوجدت أن اللغة العربية قد جمعت من دون سائر أخواتها بين الظواهر اللغوية الدالة على قدمها، ومثلما استطاع البحث اللغوي والتاريخي أن يحدد لنا مواطن التشابه والاختلاف بين الأرومة السامية، استطاع أيضاً أن يثبت بالأدلة والبراهين موطن النقوش والتفرد الذي انمازت به العربية عن غيرها من اللغات السامية، كما أثبتت المصادر أن الجزيرة العربية هي الوطن الأصلي للشعوب السامية المهاجرة، وهذه المصادر نفسها أثبتت أن الجزيرة العربية لم يسكنها منذ فجر التاريخ - شعب غير الشعب العربي، وتبعًا لذلك فإن اللغة العربية بحق هي أصل هذه اللغات السامية، وأم لها جميعاً.

هل العربية أصل اللغات السامية؟

لإجابة عن هذا السؤال لايد - بداية - أن نلقي نظرة على المقصود بالساوية: أطلق مصطلح اللغات السامية على اللغات التي تتبع إلى السامية، وهي اللغات الآشورية والفينيقية والعربية والليبية والبابلية الآشورية، وأول من أطلق هذا المصطلح هو المستشرق شلوتزر Solzeler، وذلك في سنة 1781م، اعتمداً على ما ورد في شجرة الأنساب وسفر التكوين في العهد القديم، من أن تلك الأقوام تحدر من سام (أحد أبناء نوح الثلاثة: سام، وحاء، وبافوت). وقد شاعت هذه التسمية حتى وقتنا الحاضر، واكتسب مصطلح الساميين قبيل الحرب العالمية الثانية يعني سياسيًا جدًا؛ إذ أطلق على اليهود خاصة، وهم مما يوضع في غموض هذه التسمية. وقد استبدل بعض الباحثين بهذا المصطلح مصطلح العارية، واللغات السامية اللغات العارية (1)، وسماه بعضهم اللغات الجزيرة، نسبة إلى جزيرة العرب (2).

وعلى أي حال فإن التسمية تتجه إلى أن الساميين، واللغات السامية تعود إلى أصل واحد، ثم حصلت هجرات فشكلت شعوب ولغات أخذت تبتعد تدريجيًا عن أصلها الأول.

وتتضم اللغات السامية إلى شرقية وغربية؛ فالشرقية هي: اللغات البابليه الآشورية (الأكادية)، والغربية تتضم إلى قسمين: شمالية وجنوبية، وفي الشمالية: الكهنوتة والأرامية، والكهنوتة تضم الأجريبية (14 ق.م) والكهنوتة القديمة المؤلفة (900 ق.م)، والفينيقية (5 ق.م)، والعربية (3)، وأما الأرامية فتشمل...
مجموعة من اللهجات التي انتشرت في بلاد الشام وشمال العراق وجنوبه، وفي الأردن وشمال الحجاز وغربي(4)، واللغة العربية الجورانية تشمل المعينية والسنبية والحضورية والقينانية ومعها اللغات السامية في الحبشة، أما العربية الشمالية فتشمل العربية البادية، وهي اللهجات الشمالية والصحافة والليبية، وأما العربية الباقيّة في هي التي وصلت إليها(5).

واللغات السامية مجموعة من اللغات بنيها علاقات قرابة وتشابه في المزايا والخصائص، وهو دفع علماء اللغة إلى عدها مجموعة واحدة تختلف عن غيرها من المجموعات، وهذا يقود إلى الحديث عن اللغة الأم للغات السامية أو عن أصلها. وبحسن التمهيد لذلك بالحديث عن موطن اللغات الأصلية. ومن أجل الوصول إلى تعيين الوطن الأصلي، وتحديد خصائص تلك اللغة الأم للشعوب السامية، فقد كثرت الإجتهادات وتبادلت وجهات النظر في سبيل التوصل إلى تصور مقبول لذلك اللغة الأولى في موطنها الأول الموغيل في القدم، فوجدنا الدراسات قد اتخذت من الأسباب والتعاليم ما يساعدها على إبراز ما ذهب إليه، وتتنوع وسائرها في ذلك من تاريخية وغروانية وأنثروبولوجية، ولعل أقوى الآراء هو ذلك الذي اعتمد على اللغات السامية وسيلة للتدليل على أن المشعوب الناطقة "ب" تلك اللغات كانت شعبًا واحدًا يقطن موطنا واحدًا، ذلك لما بين هذه اللغات من تشابه واضح، وتماثل بين في كثير من ألفاظها، وطرق التعبير بها، وفي مبانيها وعثومها، وفي مفرداتها وترابيبها، ومن هنا أدرك علماء الساميات كذلك أهمية تناول هذه اللغات بالدرس المقارن لغة ولديها(6). مما تقدم فإنه لابد من الإشارة إلى الوطن الأصلي للساميين، لأن هذه القضية غاية في الأهمية، وتسمى إسهاما فعالاً في تحديد اللغة الأم للغات السامية.

إن مسألة البحث عن الوطن الأول للساميين الذي عاشوا فيه شعباً واحداً ولساناً واحداً من المسائل التي كثرت فيها الآراء وتبادلت فيها الاتصالات، وكلاً رأى بحول الاستند إلى ما يعززه، فهذا لأن من بُني أن مهد الساميين هو المكان الذي رست فيه سفينة نوح بعد الطوفان، ومصدر هذا الرأي دراسات المؤثرات القصصية القديمة التي وردت في التوراة، وفي كثير من أسفار بابل وشومر التي تفيد بأن السفينة رست في مكان من المرتفعات الذي يبنى منها دجلة والفرات في شمال العراق. وعلى ذلك يعتقد أصحاب هذا الرأي أن المرتفعات كردستان هي المقصودة، وهي من ثم موطن الساميين الأول(7). ولكن هذا الرأي مرفوض بحجّة "أننا لو سلمنا به كانت مرتفعات كردستان مهداً للبشرية جمعاء، وليس لأنها سامام، فحسب؛ لأن السفينة لم يكن فيها سام بن نوح وحده، بل كان فيها الإنسان والحيوان والطيور، وكل ما عمرت به البائسة(8)."
والرغم من أن حجة جودي حجة لغوية؛ فإن هناك ما يبطلها؛ إذ "يوجد نقص مشهور سجل عليه الملك سرجون الأول الأكادي (حوالي سنة 2600 ق.م.) ما يفيد أنه هو وأسرته جاؤوا إلى العراق من شرق الجزيرة العربية، أي أن العراقي ليس موطنه الأصلي، وسرجون هذا من أقدم الملوك الساميين في العراق، كما أن الوثائق السومرية تؤكد أن الشعب الأصلي للعراق لم يكن شعيا ساميا، كما أنه يختلف بوضوح عن الساميين في عاداته وتقاليده وزوجه. وقد يكون نشوء كلمة نهر في اللغات السامية يرجع إلى أن الساميين عرفوا النهر قبل أن يعرفوا الجبل في بواكي جهاتهم، قبل هجراتهم واختلاف لهجراتهم، كما أنه ليس من الضروري أن يكون النهر عرفوه هو نهر دجلة، ومنع عرض جودي في رأيه السابق نولدكه، إذ يقول: "إن من المعيب أن نتعمد في حقية كهذه على جملة كلمات ليس ما يثبت لنا أن جميع الساميين أخذوها من أهل العراق، ثم يسوق أفلاظا أخرى لتتأيد معارضته مثل: جبل وصبي وخيلية وشيخ وسعود ... وهذه كلمات ترد إلى أقدم الأزمنة غير أن كل لغة سامية عبرت عن هذه المعاني بكلمات مختلفة."

ويرى بعض الباحثين أن الموطن الأصلي للساميين كان بلاد كنعان، فالساميون كانوا منشرين في البلاد السورية القديمة في أزمنة بعيدة في القرن، وما سميتم به في هذه البلاد لا تعرف نقائها، ولتعرف بها من أهل العراق، في حين كانت بلاد العراق سكناً من قبل الشعب السومري، وكانت فيها مدنية زاهرة قبل مدنتهم.

ومن نهر إلى أن مواطن الساميين الأول كان في منطقة شمال سوريا، المستشرق الأمريكي كلاي، وتبعه الفرنسي موري وجورج كونت (14) ويعتبر هذا الرأي على مقارنة فكرية في الأساطير والمتأثرات الشعبية بين المناطق التي ازدهرت فيها، ويعزز أصحاب هذا الرأي ما ذهبا إليه بأن أول أسرة بالشرق ففي العراق جاءت من الغرب، أي من بلاد مورمو، وللتسليم بهذا الرأي لا لن نسلم بأن الساميين الأوائل خرجوا من شمال سوريا إلى العراق الأردن وشبه الجزيرة العربية في رحلات شاقة في الصحراء في تلك العصور القديمة، ولا يمكن أن يقتضي ذلك المصادر في تلك العصور قطع هذه الصحرا الشمالية، إلا على ظهر الإبل، ولكن استعمال الإبل في الرحلة...
فوزية على عواد القضاة

أذاك مستبعد لأن استعمالها في تلك المنطقة لم يعرف إلا في أواخر القرن الثالث قبيل الميلاد أو بعد ذلك

ومنذ ذلك الربع الأول من القرن الرابع عشر وقبل ذلك، وتقع قرب حدود كردستان. ووفقاً لما يرى أن أرمينية هي المهد الأول للشعب السامي، والإمبراطورية السامية، والآرامية جمعياً، ومنهم من يرى أن المهد الأول للساميين كان شمال أفريقيا، ومنها نزحوا إلى آسيا عن طريق برزخ السويق. وبعضهم يرى أن الحبشة هي مهد الساميين الأول، ومنها نزحوا إلى القسم الجنوبي في بلاد العرب عن طريق باب المنبر، ومن ثم انتشر في مختلف أنحاء الجزيرة العربية.

ومن هنا، من يرجح أن المهد الأول للساميين هي الجزيرة العربية (بلاد الحجاز والشام واليمن وما إلى ذلك)، ومن أصحاب هذا الرأي: رينان الفرنسي وبركلمان الألماني، ومنهم أيضاً فيندرمان والشوارد، ودي جوبه وسانس وماريو كوك وديبلين ورايث ورمثوش وكونتزو، وفيليش ريدسو ومونتجوري وماكدونالد وفينكر وغيرهم. وقد عزز أصحاب هذين الرأيين ما ذهبوه إليه بأمكانيات لغوية ونحوية و_PROJECTER وأساطير، حتى استوت لديهم نظرية متكونة لا تتساوى في فرضياتها ولا تكلف في حريتها.

وقد ذهب بعض الباحثين إلى أن جزيرة العرب منذ فجر التاريخ لم يسكنها شعب غير الشعب العربي، وذلك ما لم يتوقف في مكان آخر من الآراء التي اعتذرها الآراء والنظريات الأخرى، وإذا كان عموماً إجماع علماء قلق على أن اللغة العربية القصصية هي بل منافع أقدم صورة حية من اللغة السامية الأم، وأقرب هذه الصور إلى تلك اللغة التي تقرعت منها بقية اللغات السامية. ومن ثم، أكد أن جزيرة العرب هي موطن الساميين بروكلمان؛ إذ يرى "أن في السهل الساحلي النصفي من جنوب شبه الجزيرة العربية، وفي السفوح الزراعية الكثيفة الميابي والمترجدة وراء ذلك السهل في تصادم يبلغ مرتفعات شاهقة، اختلط الجنين الشرقي الذي يكون نواة الأصل السامي بعناصر البحر الأبيض المتوسط، وعناصر زنجية في بعض المواقع، مما يسود من امتداد العلاقات بالإمبراطوري المركزي إلى زمن ما قبل التاريخ"، ويرى ولفسون "أن أكثر الحركات والهجرات عند أغلب الأمم السامية إلى البلاد الموعودة من الناحية الدينية والقصصية، في صورة مختلفة، واتخذت هجرة سامية انتهت نحو بابل كانت من ناحية الجزيء، وقد أسست تلك الجموع مكتباً غريباً في بقعة الفرات، وكذلك هاجرت البطون الكثائية والأراضي تاركة بلاد العرب، وكان لهجرتها أثر عظيم في حياة العالم القديم، ولم تقف هذه الهجرات العربية عند العراق وسوريا وفلسطين، بل جاوزتها إلى مصر أيضاً، فقد توغلت قبائل سامية جاءت من ناحية الجزيء إلى بلاد النيل.

حوالات أتاب عدين شمس - المجلد 38 (يوليو - سبتمبر 2010)
وبدأت سلطانها على مصر، وكونت في تاريخها الأسر الحاكمة المعروفة بالهكسوس، وكذلك كانت الهجرة العربية بعد ظهور الإسلام إلى جميع بلدان العالم القدمى أخرى موجة سامية عظيمة وجمعت وجه الأرض وهزت العالم بأسره. (22)

وبعد، فإن ما ذهب إليه كل من بروكلمان وولفنسون وغيرهما من العلماء يدل دلالة واضحة على أن الجزيرة العربية هي مهد الشعوب السامية، ولأنها لم يسكنها منذ فجر التاريخ شعب غير الشعب العربي، فإن في ذلك إشارة إلى أن العربية هي اللغة الأم للغات السامية جميعا، وهذا ما ذهب إليه فيلي. إذ يقول: "...كان هؤلاء الساميون بتلقيك عربا يتكلمون العربية، وقد هاجروا من أوطانهم الأصلية في جنوب الجزيرة العربية، بعد اضطرارهم إلى ترك منازلهم القديمة، بسبب الجفاف الذي ظهرت بادرته بعد العصر الحجري القديم، والتوجه نحو الشمال إلى أطراف الهلال الخصيب في موجات متكررة. وقد استمرت هذه الهجرات عبر آلاف السنين تارة بطيئة، وتارة أخرى سريعة، حتى تمكنت إحدى الزمر السامية أن تثبت أقدامها في السهل الخصيب من أواخر ما بين النهرين. (23) إن فكان يحدث عن موطن الساميين الأول، فإن هو الحديث عن فترة موحلة في القدم، قد تكون قبل التاريخ، أو تكون كما افترض بعض المؤرخين والباحثين أنها ترجع إلى آلاف السنين قبل الميلاد. (24)

وما دمنا ارتدنا مع إجماع كثير من العلماء فرضية أن الجزيرة العربية هي الموطن الأول للساميين، قبل تفرقهم وانتشارهم في هجرات مختلفة؛ فإن هجرة الساميين من موطنهم الأول لم تحدث في وقت واحد، ولم تكن إلى وجهة واحدة، بل تمت على مراحل زمنية طويلة، وإلى جهات مختلفة. ولقد سلك فريق طريق الساحل الغربي من الجزيرة العربية نحو الشمال؛ حيث يلتقي عند شبه جزيرة سيناء إلى وادي النيل الخصيب، حوالي 3500 قبل الميلاد، واستقر هؤلاء بمصر، وانحلوا بسكنائها الحايين؛ حيث أدرك لنا هذا الاختلاف العائدي المصريون الذين شيدوا أسس حضارة شامكة رائعة، وفي غضون تلك الفترة، اتجهت إلى الشمال موجة أخرى من المهاجرين نحو بلاد الرافدين، حيث كان الساميون. وتعلّم الساميون المهاجرين من الساميين غيرت كتابة، فأبرز لنا اختلاف الساميين المهاجرين بالساميين الأصلين الشعوب البالي، ثم حدثت هجرة ثالثة حوالي منتصف الألف الثالثا قبل الميلاد، خرج فيها الأموريون من موطنهم الأصلي إلى منطقة الهلال الخصيب، وكان الكغاغيون من عناصر تلك الهجرة، ونزلوا غربي الشام وفلسطين بعد سنة 2500 قبل الميلاد، وكان من بين عناصر تلك الهجرة أيضا الساحليون الذين سماهم الأغارقة بالفينيقيين، وفيما بين سنة 1500 و1200 ق.م تسرب العربون إلى جنوب الشام (فلسطين)، وكذلك تسرب
فوزية على عواد القضاة

الأراميون (السريان) إلى شمال سهل البقاع الذي يقع بين جبلين لبنان الشرقي والعراقي، ثم حل منتصف القرن الأول قبل الميلاد، فنزل الأنباط المنطقة الواقعة شمال شرق شبه الجزيرة سيناء. وبحلول القرن السابع الميلادي تطلق آخر موجة من موجات الهجرة السامية من جزيرة العرب إلى معظم بقاع العالم تحت راية الإسلام، فشملت منطقة الهلال الخصيب، كلها ثم مصر وإفريقيا الشمالية وفارس وإسبانيا، وأجزاء من آسيا الوسطى (25).

وإذا افترضنا صحة الرأي السابق أن الجزيرة العربية هي المهد الأول للشعوب السامية، ونزوح بعض الجموع، وذلك بسبب التحول المناخي للمجهزة والتصحر الطارئ عليها؛ فإنه ينبغي على هذا الافتراض افتراض آخر، ألا وهو أن الجموع الهجرية لم تكن كل شعوب المنطقة الذين كانوا يسكنون فيها، وأن الشعوب التي نزحت بلغاتها، ما فتئ تبتعد عن لغتها الأصلية، حتى صارت شعوبا ذات لغات متبدلة، يربطها بالأصل (اللغة الأم) روابط ومفردات، ولكنها ليست واحدة، ولكنها لغات جديدة لها أصول ثانية، ولها قروعة متعددة؛ فهي لغات ذات قرواة في الأصل، وهي لغات مختلفة لما جد عليها. أما الشعب السامي الذي لم يهاجر وآثار البقاء في جزيرةه، فقد احتفظوا بلغتهم السامية الأولى، وهذه اللغة هي اللغة العربية التي يفترض البحث أنها اللغة الأم أو أصل اللغات السامية.

وبهذا الإطار يرى وفنسون أن اللغة العربية تشتمل على عناصر لغوية قديمة، بسبب وجودها في مناطق متفرقة عن العالم، بعيدة عما يتوارث عنه من تقلبات وتغيرات أكثر حدوثها، وتختلف نتائجها اختلافاً متسارعاً في البلاد العمانية (26).

وبعد هل نستطيع أن نعد اللغة السامية الأم أقدم لغة سامية؟

بالرغم من توجه بعض المستشرقين الحديثين، فإنه من عبث أن يبحث المرء في لغات الساميين عن أقربها إلى السامية الأصلية؛ لأنه إذا كان العلم قد اهتدى إلى أن اللغة السكستراتلي القديمة لا تعد أقرب لهجة قديمة إلى الآرية الأصلية، فكيف يمكن أن نحكم بأن لغة سامية أقرب من غيرها إلى السامية الأصلية، في حين نعلم أنه قد طرأ على اللغات السامية من التغييرات والتقلبات ما لا يعد ولا يحيس (27).

وبالرغم من هذا التوجه، فإنه لا بد لنا من أن نعرض للأراء في هذه المسألة، والرأي الأول يفترض أن اللغة العربية أقدم لغات العالم، وهذا هو رأي أحيان اليهود، ووصل إلى بعض العرب في القرنين الوسطي (28).

والحقيقة أن العبرية، يوصفها لغة مستقلة، هي أحد الساميات استقلالة، وذلك أنها قبل أن تصبح لغة مستقلة، كانت إحدى لهجات الكنعانية التي هي لغة عربية.
في الأصل والمنشأ (29)، وإبراهيم - عليه السلام - كان آرامياً، والأراميون عرب
صلبية "آزأميا" تأثّر بها كابي، فانصرف إلى مصر وتغبر هناك في نفر قليل (30)،
وإبراهيم - عليه السلام - كان يتنقل طلبًا لكلّ لجال ولؤلؤة، وكان يُسمى عربيّاً أو
عبرياً، والكلمات بمعنى واحد، وكلمة عبري متفرعة عن أصل عربي، وقد حصل
في الثانية قلب ملكي في بعض اللغات، فبعض أهل المدن كان يُسمى العربي
عبرياً، وبعضهم كان يُسمى عرباً، والقلب المكاني ظاهرة معروفة في اللغة
العربية، كما هو في: جذب وجبود، وصاذقة وصافية، وبسوس وأيس، وأوباش
وأوشاب، وباء وآب.

يقول ولفسن: "إن كلمة عرب كانت مستعملة في اللغة العبرية القديمة لتسلد
على أهل العرق (الصحراء) (31)، ويقول "إن كلمة عبري تؤدي المعنى الذي
تأديه كلمة عرب نفسه أي أن العبريين هم قبائل كان نتنقل بخيامها وإيلها
من مكان إلى آخر (32)، ويضيف "نحن نعتقد أن كلمة عبري وعربي مشترطان من
ثلاثة واحد: هو عبر (33)، والكلام السابق فيه صواب وفيه خطأ، فأما السواب
فهو أن كلمة عرب كانت مستعملة في اللغة العبرية القديمة، وليس هناك
وجد لما سماه اللغة العبرية القديمة (34)، فاللغة العبرية لغة مستقلة، بدأت تتشكل
في القرن السادس قبل الميلاد: أي بعد عهد موسى عليه السلام بثمانية قرون، وبعد
عصر إبراهيم - عليه السلام - بالآراميين بثلاثة سنه، وقد اختلط الآراميون
بالكنعانيين، وظهر أثر هذا الاختلاط في تدوين النَّهَرْة الحالية التي كتب في ذلك
القرن، وتتأثر العربية كثيراً باللغات التي كانت مستعملة في العراق في السويتي
الأول والثاني (36)، وذلك للأسباب الآتية:

1- أن أحرف الحلق أكثر ظهوراً في اللغات السامية من اللغات الأخرى، وهى:
الأف الباجة والهاء والخاء والغين والراء واللَّاء والإيقاع، ولكننا نجد أن هذه
الأصوات قد تمثلت في العربية أكثر منها في العبرية التي تخلو من الحاء
واللَّاء.

2- الحروف الصوتية العربية أقل من الصوتية العبرية، فليس فيها أصوات
الضاد والطاء، والذال.

3- جمع التكسير واسع الاستعمال في العربية، في حين تميل العبرية إلى جمع
السماة، فليس فيهما وحدة صرفية لاحقة تفيد الدلالة على أكثر من واحد
من الأسماء.

حوليات أداب عين شمس - المجلد 38 (يوليو - سبتمبر 2010)
4- المعجم العربي أغزر مادة من المعجم العبري، فالمادة اللغوية في اللغة العربية مادة هائلة على إمتداد القرون، واختلاف الأمكنتا في حين تسعي العبرية لإثراء معجمها عن طريق العربية واللغات الأخرى.

5- احتفاظ اللغة العربية بظاهرة الإعراب؛ إذ تتغير أواخر الكلمات فيها باختلاف وظائفها في الجمل، أما العبرية فموقعة، وقد يظهر الإعراب فيها في عدد قليل من الكلمات.

يتبين مما سبق أن العبرية عندما انتقلت من مهدتها الأول فقدت بعض خصائصها (خصائص السامية الأم التي هي في نظرنا اللغة العربية)، وأنها تأثرت بنطق الغربين لبعض الأصوات، وأما العربية فقد بقيت في مكانها محافظة على كيانها وعلى خصائصها الأولى، ولم تتخضع للغات أخرى، بل على العكس التهمت لغات كثيرة، وبدت خالدة على مر الزمن.

أما الرأي الثاني ففيه أن اللغة الأشورية البابلية هي أقدم اللغات السامية (37).

ويستحسن أصحاب هذا الرأي على أن اللغة الأقدم تكون هي الأكدية؛ إذ تؤرخ الكتبات الأكدية القديمة بحوالي منتصف الآلاف الثالث ق.م، ويتعتبرون كذلك على بعض خصائص هذه اللغة القديمة (38). غير أن اللغة الأكدية قد اختلطت باللغة السومرية التي لا نعلم شيئاً عن خصائصها الصوتية والصرفية وال نحوية، و تختلف عن الأكدية في أسلوبها ومباني جملها، وقد تركت أثرًا قوياً في الأكدية الرسمية وأصواتها ومباني ومعنوي؛ لذا "فإننا لا نرى أنها تمثل الصورة الأصلية للغات الفرعية الأولى، تلك الصورة التي يجب أن تكون تقنية خالدة من أي شروط" (39). ويمكن المقارنة بين اللغتين، من حيث امتلاكها خصائص اللغة السامية الأم على النحو الآتي (40):

1- إن العربية أغنى من الأكدية أصواتاً؛ إذ يبلغ عدد الحروف العربية الجنوبية تسعة عشر حرفًا، فيما قدرت الأكدية حروف الحلق، ما عدا الهمزة والخاء، كما قدرت الثاء والذال والضاد والظاء، وأحياناً الواو والفاء الصحيحتين في الحشو والأخير، وفي مرحلة متاخرة حتى في صور الكلمة.

2- تدعم الأكدية النون في النهاة في ضمائر الرفع المنفصلة مع المخاطب، وفي بعض أوزان الأفعال، لسماً وزن المفعول ومزياته، وهذه كلها مصداق ظاهرة الاتجاه نحو العامية، كما في المعجمات العربية المعاصرة.

3- العربية أغنى في أوزان الأسماء ومشتقاتها، وأوزان الأفعال ومشتقاتها، وأوزان الأفعال ومشتقاتها من الأكدية.
اللغة العربية أصل اللغات السامية وهي اللغة (الأم)

4- العربية أكثر تنواعاً في ضروب استعمال الصفات، والظروف، والحال، والتميز، والبدل، والاستثناء، والمفعول المطلق، والمفعول معه، والمفعول لأجل، والنفي، وكثير من الأدوات، والإضافة وأئتماعها، والنداء، والمدح، والذم.

5- العربية أغنى في استعمال المثنى وفيها جموع النكسر، أما الأكيدية فاستعمال المثنى يكون مقصوراً على أعضاء الجسم المزدوجة، وليس فيها جموع نكسر.

6- العربية أكثر ثراءً في الحالات الإعرابية وعلاماتها؛ إذ فقدت الأكيدية: الحركة في المعاضد الذي يرد ساكناً في معظم الأحيان، أما العربية فهي اللغة الواحدة التي حافظت على ظاهرة الإعراب كاملة، كما أن العربية أكثر سعة في استعمال الممنوع من الصرف.

7- العربية أكثر ثراءً في المفردات والتعبيرات والصور البلاغية.

لهذه الأسباب مجتمعه فالعربية هي أقدم في خصائصها الصوتية والصرفية وال نحوية والمعجمية من الأكيدية، برغم أنها أحدث تدوينًا، والتبوين وحده لا يصح أن يكون أساساً لتعرف قدم هذه اللغة أو تلك، وخصائص اللغة التي تحكم على أقدميتها أو حداثتها (41).

أما الرأي الثالث ففيه أن العربية هي أقدم اللغات السامية (42)، وذهب إلى هذا الرأي أولئك الذين اعتبرو العربية أقرب لغات السامية إلى اللغة السامية (43). أما المستشرق دي جوج فيرى أن الجو البديع لبلاد العرب الداخلية، والجمال الجسمي للعرب يدان على حقيقة لنزاع فيها، هي أن اللغة العربية تتفرد كثراً من اللغة السامية الأولى أكثر من اللغات السامية الأخرى (44). وهذا استدلال برغم صدق توجهه فإنه ضعيف؛ لأنه لا يحكم على قدم لغة من خلال أقسام صاحبها.

ويمكننا الاستدلال لهذا الرأي من عدة وجهات:
- أن المهد الأول للسابيين ولغاتهم هي الجزيرة العربية، وهو الرأي الأكثر صواباً - فيما أرى - وذلك لأنساب مناخية اقتصت أن يهاجر كثير من العرب بلهجاتهم، ليكونون فيما بعد شعوباً ولغات أخذت تبتعد عن أصلها وتبناها، وأما الباقون - الجزيرة العربية لم تخل يوماً من الناس بلدليل الموجودين فيها من قدم حتى الوقت الراهن - فقد حافظوا على خصائصهم المختلفة من عادات وتقاليد، وحافظوا أيضاً على لغتهم، ولم يطروا عليها تغيير أو تبديل، وهذا دليل على أن اللغة العربية هي اللغة الأم، وهي الأصل، وما تبقى فهو الفرع.
فوزية علی عواد القضاة

- أن محافظة اللغة العربية على خصائص اللغة السامية الأم دليل على أنها هي اللغة الأم ولست لغة متفرعة، فقد رأينا فيما سبق أن معظم الخصائص قد بقيت في اللغة العربية، في حين أنها تغيرت في اللغات السامية، أو اختفت، وأضرب مثالاً على ذلك - إضافة إلى ما سبق - ظاهرة المثنى، فهو واسع الاستعمال في العربية، مقارنة مع استخدامه في اللغات السامية، "ويبقى هذا على حرص العربية على استمرارها وسعتها على نفسها من الناحية الشكلية". وهذه الظاهرة قليلة في اللغات السامية كالسريانية والعبرية والحبشية، فالعربية تستخدمها في التعبير عن أعضاء الجسم المزدوجة كالآثني، وفي الأدوات التي تعتمد على مثنى في إسهامها كالمقص، وفي الأعداد الدالة على المثنى. ويفسر المستشرقون بذرة المثنى في اللغات السامية بالتطور النازل؛ أنه كان كثير الاستعمال، ثم قيل استعمال، فلم بيق منه إلا مثابة قليلة، وقد سبق ذلك بالتطور الصاعد؛ أي أنه كان قليل الاستعمال، ثم أخذ يتزايد، فهو في العبرية أكثر منه في الآرامية والسريانية. وإذا أخذنا بالتسير الأول (التطور النازل) فهذه اللغات كانت تستعمل المثنى مثل العربية، ولما هاجر أصحابها أخذت تتضاءل تدريجيًا، وأما اللغة الأصل؛ أي اللغة العربية - فقد ظلت محافظة على خصائصها وظواهرها، وهذا دليل على أنها الأصل وغيرها الفرع.

ويؤيد ما ذهبنى إليه (إن اللغة العربية هي اللغة الأم للغات السامية) ما تمتاز به هذه اللغات من أوصاف لا تختلف عن أوصاف العربية الأصلية، فهي نجد فيما بينها تقارب واضح، تقترح في مجموعها من اللغة العربية الأم، فهي جميعاً تتقارب في الحروف وأنواعها ودلائلها، وفي الأسماء والمصيغ الابتدائية والصرفية، فالساملات تميز بأنها ثلاثية الحروف، وعندما يستقبلها يحدث بغير البنية على أن توقف نوع الدلالة، كذلك في الصيغة الفعلية ودلائلها الزمنية وفي تركيب الجمل، وما إلى ذلك من تشابهات بينة، وصلات واضحة المعالم، أدت إلى التسهيل بأن هذه العائلة السامية، إنها هي أغصان تفرعت عن أصل واحد، وهي اللغة العربية كما بيانا.

ويفما يأتي ذكر قائم من الألفاظ لبعض اللغات السامية المتعددة، لنرى مدى قربها من العربية الأم لفظ ومعنى، نثبت صحة ما ذهبنى إليه (إن العربية هي أصل لهذه اللغات السامية جميعاً)
<table>
<thead>
<tr>
<th>لفظ لغات جنوب الجزيرة والحبشة</th>
<th>لفظ أرامي</th>
<th>لفظ عبري</th>
<th>لفظ آشوري بابلي</th>
<th>عربي</th>
</tr>
</thead>
<tbody>
<tr>
<td>أب</td>
<td>أبا</td>
<td>أبو</td>
<td>أبو</td>
<td>أب</td>
</tr>
<tr>
<td>بن</td>
<td>بَنَّ</td>
<td>بَنَّ</td>
<td>بَنَّ</td>
<td>ابن</td>
</tr>
<tr>
<td>بَرَع</td>
<td>أَرْبَع</td>
<td>أَرْبَع</td>
<td>أَرْبَع</td>
<td>أَرْبَع</td>
</tr>
<tr>
<td>شَلاس</td>
<td>ثلاثَ</td>
<td>شَلاشَ</td>
<td>شَلاشَ</td>
<td>ثلاثَ</td>
</tr>
<tr>
<td>جَمَل</td>
<td>جُملَ</td>
<td>جَمَلَ</td>
<td>جَمَلَ</td>
<td>جَمَلَ</td>
</tr>
<tr>
<td>حَلَل</td>
<td>حُلَلَ</td>
<td>حَلَلَ</td>
<td>حَلَلَ</td>
<td>حَلَلَ</td>
</tr>
<tr>
<td>حَقَر</td>
<td>حُقَرَ</td>
<td>حَقَرَ</td>
<td>حَقَرَ</td>
<td>حَقَرَ</td>
</tr>
<tr>
<td>حَبَل</td>
<td>حُبَلَ</td>
<td>حَبَلَ</td>
<td>حَبَلَ</td>
<td>حَبَلَ</td>
</tr>
<tr>
<td>حَزْنَرْ</td>
<td>حُزْنَرْ</td>
<td>حُزْنَرْ</td>
<td>حُزْنَرْ</td>
<td>حُزْنَرْ</td>
</tr>
<tr>
<td>دَمَا</td>
<td>دَمَّ</td>
<td>دَمَّ</td>
<td>دَمَّ</td>
<td>دَمَّ</td>
</tr>
<tr>
<td>رَآس</td>
<td>رَآسَ</td>
<td>رَآسَ</td>
<td>رَآسَ</td>
<td>رَآسَ</td>
</tr>
<tr>
<td>رَكْب</td>
<td>رَكْبَ</td>
<td>رَكْبَ</td>
<td>رَكْبَ</td>
<td>رَكْبَ</td>
</tr>
<tr>
<td>زَرَع</td>
<td>زَرَعَ</td>
<td>زَرَعَ</td>
<td>زَرَعَ</td>
<td>زَرَعَ</td>
</tr>
<tr>
<td>نَسَم</td>
<td>نَسَمَ</td>
<td>نَسَمَ</td>
<td>نَسَمَ</td>
<td>نَسَمَ</td>
</tr>
<tr>
<td>صَرَخ</td>
<td>صَرَخَ</td>
<td>صَرَخَ</td>
<td>صَرَخَ</td>
<td>صَرَخَ</td>
</tr>
<tr>
<td>ظَفَر</td>
<td>ظَفَرَ</td>
<td>ظَفَرَ</td>
<td>ظَفَرَ</td>
<td>ظَفَرَ</td>
</tr>
<tr>
<td>عَشَر</td>
<td>عَشَرَ</td>
<td>عَشَرَ</td>
<td>عَشَرَ</td>
<td>عَشَرَ</td>
</tr>
<tr>
<td>عَقَب</td>
<td>عَقَبَ</td>
<td>عَقَبَ</td>
<td>عَقَبَ</td>
<td>عَقَبَ</td>
</tr>
<tr>
<td>قَمَّ</td>
<td>قَمَّ</td>
<td>قَمَّ</td>
<td>قَمَّ</td>
<td>قَمَّ</td>
</tr>
<tr>
<td>قَرْن</td>
<td>قَرْنَ</td>
<td>قَرْنَ</td>
<td>قَرْنَ</td>
<td>قَرْنَ</td>
</tr>
<tr>
<td>كَبَّد</td>
<td>كَبَّدَ</td>
<td>كَبَّدَ</td>
<td>كَبَّدَ</td>
<td>كَبَّدَ</td>
</tr>
<tr>
<td>لِسَان</td>
<td>لِسَانَ</td>
<td>لِسَانَ</td>
<td>لِسَانَ</td>
<td>لِسَانَ</td>
</tr>
<tr>
<td>مَاء</td>
<td>مَوَّ</td>
<td>موَّ</td>
<td>موَّ</td>
<td>مَوَّ</td>
</tr>
<tr>
<td>نَمَّر</td>
<td>نَمَّرَ</td>
<td>نَمَّرَ</td>
<td>نَمَّرَ</td>
<td>نَمَّرَ</td>
</tr>
<tr>
<td>وَدَ</td>
<td>وَدَّ</td>
<td>وَدَّ</td>
<td>وَدَّ</td>
<td>وَدَّ</td>
</tr>
<tr>
<td>يَرْقَ</td>
<td>يَرْقَ</td>
<td>يَرْقَ</td>
<td>يَرْقَ</td>
<td>يَرْقَ</td>
</tr>
<tr>
<td>وَلَد</td>
<td>وَلَدَ</td>
<td>وَلَدَ</td>
<td>وَلَدَ</td>
<td>وَلَدَ</td>
</tr>
<tr>
<td>أَبَّ</td>
<td>أَبَّ</td>
<td>أَبَّ</td>
<td>أَبَّ</td>
<td>أَبَّ</td>
</tr>
</tbody>
</table>
وبعد، فإن العرب قديما شغلتهم مسألة اللغة السامية، بل نجدهم ذهبوا إلى أبعد من ذلك؛ إذ ذهبوا إلى البحث في لغة آدم نفسه التي تفرعت منها كل لغات البشر، وأن هذه اللغة هي اللغة العربية. وفي هذا الإطار يذكر السيوطي: "كان لسان الأول الذي نزل به آدم من الجنة عربيا، إلى أن يغد العبد وطال، فخرج وصار سريانيا، وهو يشكل لسان العربي إلا أنه محرف"\(^{50}\).

أما المحدثون العرب الذين برو عن اللغة العربية هي اللغة السامية الأم، فإنهم يرجعون أن تكون هذه اللغة العربية، هي لغة العرب الأرامية المتنوعة إلى قبائل عاد، وثمرود، وطسوس، وحذير، وعماليق، كما يجوز أن تكون لغة جماعة عربية أخرى كانت أقدم في العهد من العربية الأرامية وأسبق منها إلى الوجود، فهي إما العربية الأرامية، وإما هي أم لها، نشأت نشأة الهجرات التي تفرعت عنها لهجات العرب القحطانية والحميرية والمعينية والسبئية، ثم الهجرات العدنانية، وما تفرع عنها من لهجة مُضر النجدية المعروفة الآن بالقصص ومنه القرآن\(^{51}\).

وبرى فيلبي في دراسته المشهورة لأحوال جزيرة العرب "أن اللغة العربية التي يعرف الخبراء بكونها أقرب من جميع اللغات السامية إلى اللغة الأم الأصلية التي اشتقت منها جميع هذه اللغات، هي على أغلب الاحتمالات أقدم لغة في العالم ما زالت حية حتى وقفتا هذا\(^{52}\).

وبعد، فإنه إذا صح ما ذهب إليه السيوطي أن لغة آدم نفسه هي العربية، وما ذهب إليه فيلبي أن العربية أقدم لغة ما زالت حية، فإنه من باب أولى أن نستند على ما ورد من هذه الأقوال وغيرها مما ذكرنا سابقا، على أن اللغة العربية هي أصل اللغات السامية.
الهواش:
1- صبحي الصالح، دراسات في فقه اللغة، ص 47 - 48، بروكلمان، فقه اللغات السامية، ص 11، خالد إسماعيل، فقه اللغات العربية المقارنة، مسائل وأراء، ص 7-9.
2- الكاسدي، فقه اللغة العربية، استنبطه، اليسانيات، المجال والوظيفة والمنهج، ص 578.
3- صبحي الصالح، دراسات في فقه اللغة، ص 49 - 51.
4- خالد إسماعيل، فقه اللغات العربية المقارنة، ص 39.
5- صبحي الصالح، دراسات في فقه اللغة، ص 52 - 59.
6- محمود أحمد حسن المراغي، مدخل إلى اللغة العبرية، ص 7.
7- أنظر السابق، وأبيح كمال، دروس في اللغة العبرية، ص 18، وانظر: خالد إسماعيل، فقه اللغات العربية المقارنة، ص 20.
8- محمود المراغي، مدخل إلى اللغة العبرية، ص 41، وأبيح كمال، دروس في اللغة العبرية، ص 16.
9- محمود المراغي، مدخل إلى اللغة العبرية، ص 42، وانظر ولفنسون تاريخ اللغات السامية، ص 5.
10- حسن ظاظا، الساميون ولغاتهم، ص 15.
11- ولفنسون، ص 5.
12- السابق، ص 5.
13- بروكلمان، فقه اللغات السامية، ص 14، وعلى عبد الواحد وافي، فقه اللغة، ص 11، ولفنسون، تاريخ اللغات السامية، ص 5.
14- المراغي، مدخل إلى اللغة العبرية، ص 43، حسن ظاظا، الساميون ولغاتهم، أبيح كمال، دروس في اللغة العبرية، ص 17.
15- حسن ظاظا، الساميون ولغاتهم، ص 15 - 18، والمراغي، مدخل إلى اللغة العبرية، ص 43 - 44.
16- ولفنسون، تاريخ اللغات السامية، ص 4، على عبد الواحد وافي، فقه اللغة، ص 10، إميل ونفسي، فقه اللغة العربية وخصائصها، ص 11.
17- ولفنسون، تاريخ اللغات السامية، ص 4 - 5.
18- بروكلمان، فقه اللغات السامية، ص 12، على عبد الواحد وافي، فقه اللغة، ص 11، ولفنسون، تاريخ اللغات السامية، ص 5.
فوزية على عود القضاة

19- رحي كمال، دروس في اللغة العبرية، ص18، وخالد إسماعيل، فقه اللغات العارية المقارن، ص12، وحسنظاظاء الساميون ولغاتهم، ص15، وجود علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ص298.

20- جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ص238، وحسنظاظاء الساميون ولغاتهم، ص15، والمراغي، مدخل إلى اللغة العبرية، ص45.

21- بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ص1/41.

22- ولفسنون، تاريخ اللغات السامية، ص5-6.

23- فيليبي، تاريخ العرب قبل الإسلام، ص9-10.

24- محمد رشيد نصير، لغة آدم عطاء أبيدي لبني آدم، ص62، والمراغي، مدخل إلى اللغة العبرية، ص50.

25- المراغي، مدخل إلى اللغة العبرية، ص57-58، وانظر: جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ص97-98، وخالد إسماعيل، فقه اللغات العارية المقارن، ص12-13.

26- ولفسنون، تاريخ اللغات السامية، ص7.

27- السابق، ص7.

28- السابق، ص6-7، رحي كمال، دروس في اللغة العبرية، ص20، إميل بديع، فقه اللغة العربية وخصائصها، ص111.

29- استيتية، اللسانيات، ص587-588.

30- السابق، ص588 (الثانية 36).

31- ولفسنون، تاريخ اللغات السامية، ص164.

32- السابق، ص164.

33- السابق، ص165.

34- استيتية، اللسانيات، ص589.

35- السابق، ص590.

36- فائز فارس، اللغة، ص17-21.

37- علي عبد الواحد وافي، فقه اللغة، ص15.

38- خالد إسماعيل، فقه اللغات العارية المقارن، ص15.

39- السابق، ص16.

حوليات أدب عين شمس - المجلد 38 (يوليو - سبتمبر 2010)
اللغة العربية أصل اللغات السامية وهي اللغة (الأم)

40 - السابق، ص 16-19.

41 - السابق، ص 19.

42 - ولفنسون، تاريخ اللغات السامية، ص 7، علي عبد الواحد وافي، فقه اللغة، ص 15.

43 - ولفنسون، تاريخ اللغات السامية، ص 7.

44 - رجحي كمال، دروس في اللغة العبرية، ص 21.

45 - إسمااعيل عمايرة، خصائص العربية في الأسماء والأفعال، ص 63.

46 - السابق، ص 63.

47 - السابق، ص 64.

48 - المراغي، مدخل إلى اللغة العبرية، ص 60، ولفنسون، تاريخ اللغات السامية، ص 14-17.

49 - ولفنسون، تاريخ اللغات السامية، ص 283-294.

50 - السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، ص 1/20.

51 - علي العنانى، الأساس، ص 39.

52 - أحمد نسيم سوسة، العرب واليهود في التاريخ، ص 281 – 282.
المصادر والمراجع:
1- أحمد نسيم سوسة، العرب واليهود في التاريخ، دار الجبل، بيروت، لبنان، ط1، 1988م.
2- إسماعيل عمارية، خصائص العربية في الأفعال والأسماء، دراسة لغوية مقارنة، دار الملاحى، إربد، الأردن، ط1، 1408هـ/1987م.
3- إميل بديع، فقه اللغة العربية وخصائصها، دار العلم للملاليين، بيروت، لبنان، ط1، 1982م.
4- بروكلمان (كارل)، فقه اللغات السامية، ترجمة: د. رمضان عبد التواب، جامعة الرياض، المملكة العربية السعودية، 1397هـ/1977م.
5- جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، بيروت، دار العلم للملاليين، 1969م.
6- حسن ظاظو، الساميوون ولغتهم، دار المعارف، مصر 1971م.
7- خالد إسماعيل، فقه اللغات العربية المقارنة، مسالس وآراء، إربد، مكتبة البروج، 1412هـ/2000م.
8- رجيب كمال، دروس في اللغة العربية، مطبعة قمحة إخوان، دمشق، ط5، 2001م.
9- الزيدى (كاسيد)، فقه اللغة العربية، جامعة الموصل، 1408هـ/1987م.
10- سمير استيتيه، اللسانيات، المجال والوظيفة والمنهج، عالم الكتب الحديث، إربد، ط1، 1425هـ/2005م.
11- السوقي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحقيقي: محمد أبو الفضل إبراهيم وأخرين، دار الجبل، بيروت، لبنان، بلا تاريخ.
12- صبحى الصالح، دراسات في فقه اللغة، دار العلم للملاليين، بيروت، ط9، 1981م.
13- علي عبد الواحد وافي، فقه اللغة، دار نهضة مصر للطبخ والنشر، القاهرة، ط8.
14- علي الغنياني، الأساس، دار المعارف، القاهرة، ط1.
15- فائز فارس، اللغة العربية، مؤسسة الرسالة، بيروت، دار الأول، إربد، دار البشير، عمان، ط1، 1987م.
16- رفوي، تاريخ العرب قبل الإسلام، مكتبة مدبيلي، القاهرة 1987م.
17- محمد رشيد ناصر، لغة آدم عطاء أبيدي، د. جمعة برس طرابلس، لبنان، ط1، 1995م.
18- محمود أحمد المراغي، مندخل إلى اللغة العربية، دار العلوم العربية، بيروت، لبنان، ط1، 1990م.
19- ولفسون، تاريخ اللغات السامية، دار القلم، بيروت، لبنان، ط1، 1980م.

حوليات آداب عين شمس - المجلد 38 (يوليو - سبتمبر 2010)